

التحرير والتنوير

و (ثم) بفتح التاء اسم إشارة إلى المكان والمشار إليه هو المكان المجازي الذي دل عليه قوله (عند ذي العرش) فيجوز تعلق الطرف ب (مطاع) وهو أنسب لإجراء الوصف على جبريل أي مطاع في الملأ الأعلى فيما يأمر به الملائكة والنبى A مطاع في العالم العلوي أي مقرر عند الله أن يطاع فيما يأمر به .

ويجوز أن يتعلق ب (أمين) وتقديمه على متعلقه للاهتمام بذلك المكان فوصف جبريل به ظاهر أيضا ووصف النبى A به بأنه مقرر أمانته في الملأ الأعلى .

بمعنى أما فعيل وهو تغيير ولا نقص دون يؤديه حتى به له عهد ما يحفظ الذي : والأمين A E مفعول أي مأمون من أمانه على كذا . وعلى هذا يقال : امرأة أمين ولا يقال : أمانة وأما صفة مشبهة من : آمن بضم الميم إذا صارت الأمانة سجيته وعلى هذا الوجه يقال : امرأة أمانة ومنه قول الفقهاء في المرأة المشتكية أضرار زوجها : يجعلان عند أمانة وأمين .

(وما صاحبكم بمجنون [22]) عطف على جملة (إنه لقول رسول كريم) فهو داخل في خبر القسم جوابا ثانيا عن القسم والمعنى : وما هو " أي القرآن " بقول مجنون كما تزعمون .

فبعد أن أثنى الله على القرآن بأنه قول رسول مرسل من الله وكان قد تضمن ذلك ثناء على النبى على اختلقوه فيما المشركين بهتان بإبطال أعقبه تعالى الله عن بلغه فيما صادق بأنه A النبى A من قولهم (معلم مجنون) وقولهم (أفترى على الله كذبا أم به جنة) فأبطل قولهم إبطالا مؤكدا ومؤيدا فتأكده بالقسم وبزيادة الباء بعد النفي وتأيدته بما أومأ إليه وصفة بأن الذي بلغه وصاحبهم فإن وصف صاحب كناية عن كونهم يعلمون خلقه وعقله ويعلمون أنه ليس بمجنون إذ شأن صاحب أن لا تخفى دقائق حواله على أصحابه .

والمعنى : نفي أن يكون القرآن من وساوس المجانين فسلامة مبلغه من الجنون تقتضي سلامة قوله عن أن يكون وسوسة .

ويجري على ما تقدم من القول بأن المراد ب (رسول كريم) النبى محمد A أن يكون قوله (صاحبكم) هنا إظهارا في مقام الإضمار للتعريض بأنه معروف عندهم بصحة العقل وأصالة الرأي .

والصاحب حقيقته : ذو الصحة وهي الملازمة في أحوال التجمع والانفراد للمؤانسة والموافقة ومنه قيل للزوج : صاحبة وللمسافر مع غيره صاحب قال امرؤ القيس : .

" بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وقال تعالى حكاية عن يوسف (يا صاحبي السجن) وقال الحريري في المقامة الحادية والعشرين " ولا لكم مني إلا صحبة السفينة " .

وقد يتوسعون في إطلاقه على المخالط في أحوال كثيرة ولو في الشر كقول الحجاج يخاطب الخوارج " أستم أصحابي بالأهواز حين رتم الغدر واستبطنتم الكفر " . وقول الفضل الهبي : .

كل له نية في بغض صاحبه ... بنعمة الله نقليكم وتقلونا والمعنى : أن الذي تخاصمونه وتكذبونه وتصفونه بالجنون ليس بجنون وأنكم مخالطوه وملازموه وتعلمون حقيقته فما قولكم عليه " إنه مجنون " إلا لقصد البهتان وإساءة السمعة .

فهذا موقع هذه الجملة مع ما قبلها وما بعدها والقصد من ذلك إثبات صدق محمد A ولا يخطر بالبال أنها مسوقة في معرض الموازنة والمفاضلة بين جبريل ومحمد عليهما السلام والشهادة لهما بمزاياهما حتى يشم من وفرة الصفات المجراة على جبريل أنه أفضل من محمد A . ولا أن المبالغة في أوصاف جبريل مع الاقتصاد في أوصاف محمد A تؤذن بتفضيل أولهما على الثاني . ومن أضعف الكلام وأضعف الاستدلال قول صاحب الكشف " وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكانة

جبريل عليه السلام ومباينة منزلته لمنزلة أفضل الإنس محمد A إذا وازنت بين الذكرين وقايست بين قوله (إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين) وبين قوله (وما صاحبكم بمجنون) اهـ